ISSN 2735-4822 (Online) \ ISSN 2735-4814 (print)

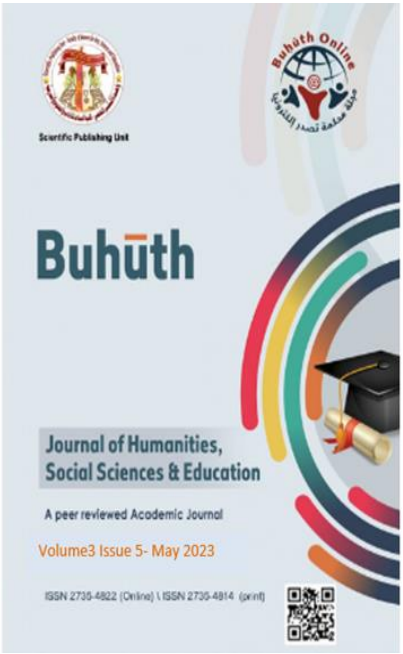

Al-Mahadara" and Cultural Role in the Mauritanian Desert (1825 – 1865)

PhD. Ayman Aly Mohamed El-Sisi
Researcher in Modern and Contemporary History
History Department – Women College – Ain Shams University
Sesy.ayman@gmail.com
Prof. Khalaf A. Elmeery
Women ' College of Arts, Sciences and education Ain Shams
khelmeery@gmail.com
Asst.Prof. Aida E. I. Salima
Women ' College of Arts, Sciences and education Ain Shams
Aida9191@gmail.com

Receive Date: 10 September 2023, Revise Date: 26 November 2023
Accept Date: 30 November 2023.
DOI: 10.21608/BUHUTH.2023.234952.1561
Volume 4 Issue 3 (2024) Pp.60- 72.

Abstract

The research examines the topic of "Al-Mahadra" and their cultural and intellectual renaissance role in the Mauritanian desert (Mauritania). Al-Mahader has represented a significant educational and cultural institution that contributed to the establishment of the Arab-Islamic and historical identity of the society. It distinguished the Mauritanian desert unique as the only learned nomadic desert in the world. Al-Mahadra served as the nucleus of (Fiqh and Knowledge) jurisprudence and science, where general sciences and religious sciences, particularly Islamic studies were taught. It started with teaching the Quran and Hadith, similar to the Kuttabs in Egypt, or Khalwah in Sudan, The first mention of it was by Al-Bakri (died in 487 AH, p. 158) as Al-Mahader, It provided students everything they needed with flexibility according to desert conditions, its organizational nature and teaching methods. It succeeded in dissemination of science and popularizing knowledge among all segments, groups and levels of the population; from knowledge of Islamic Sharia studies, Arabic language, history, mathematics, astronomy, and even medicine. Thus, it becomes a center of cultural influence, scientific life, and jihad. It was a beacon for dissemination of Islam and Arabic language in West Africa which made the country a guiding light and a beacon of enlightenment. The Mauritanian Mahadra preserved its uniqueness and characteristics before the arrival of the French colonial era, and strongly resisted its educational and cultural policies to erase the society's identity and imposing French influence.

***Keywords*:** Al-Mahadra, Mauritania, Education, Nomadic Deserts, Arabization and Teaching.

المحاضر ودورها الثقافي في الصحراء الموريتانية (١٨٢٥-١٨٦٥م)

أيمن علي محمد السيسي
باحث دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر – قسم التاريخ
كلية البنات – جامعة عين شمس – مصر
Sesy.ayman@gmail.com

أ. د/ خلف عبد العظيم الميري
كلية البنات للآداب والعلوم والتربية،
عين شمس، مصر
khelmeery@gmail.com

أ. م. د/ عايدة السيد إبراهيم سليمة
كلية البنات للآداب والعلوم والتربية
عين شمس، مصر
Aida9191@gmail.com

المستخلص:

يتناول البحث موضوع المحاضر ودورها الثقافي والنهضة الفكرية في الصحراء الموريتانية؛ إذ مثلت المحاضر أهم مؤسسة تعليمية ثقافية أسهمت في ترسيخ الهوية العربية الإسلامية والتاريخية للمجتمع وجعلت الصحراء الموريتانية تتفرد بكونها البادية العالمة الوحيدة بين البوادي والصحراوات في العالم، ومثلت المحضرة نواة الفقه والعلم، حيث يتم فيها تعليم وتدريس العلوم في مجملها والشرعية على وجه الخصوص، وقد بدأت بتعليم القرآن والحديث وهي تماثل الكُتَّاب في مصر أو الخلوة في السودان، و أول ذكر لها ما أورده البكري (ت ٤٨٧هـ، ص ١٥٨) محاضر وقد انتشرت في بوادي الصحراء في موريتانيا، هذه المحاضر لتشمل حدود اللغة العربية (الحسانية) أو ما عُرف بالمجال اللغوي الشنقيطي الحساني الفسيح، الممتد من ضفاف المحيط الأطلسي إلى أزواد ومن نهر السنغال إلى الحدود الجزائرية والمغربية. وقد وفرت لطلبة العلم جميع ما يحتاجونه بمرونة وفق ظروف الصحراء وطبيعة تنظيمها وأساليب التعليم فيها. وقد استطاعت نشر العلم والحفاظ عليه بين السكان بجميع أطيافهم ومستوياتهم؛ من المعارف سواء العلوم الشرعية الإسلامية أو علوم اللغة العربية والتاريخ والحساب والفلك، وحتي الطب، لتكون بذلك مركزاً للإشعاع الديني والثقافي، تنشر الحياة العلمية و تؤصل الجهاد في نفوس مسلمي هذه البقعة من العالم ، فضلا عن كونها أضحت منارة لنشر الإسلام واللغة العربية في غرب إفريقي وهو ما جعل هذا البلد منارة يهتدي بها ونبراسا يستضاء به، وحافظت المحضرة الموريتانية على خصوصياتها قبل مجيئ المستعمر الفرنسي ووقفت بقوة أمام سياسته التعليمية والثقافية لمحو هوية المجتمع وفرنسته.

الكلمات المفتاحية: المحضرة، موريتانيا، التثقيف، البوادي، التعريب، التعليم.

مقدمة:

إن هذا البحث يتناول دور المحاضر الثقافي في الصحراء الموريتانية في القرن التاسع عشر قبل مجيء المستعمر الفرنسي؛ وكيف كانت صرحا علميا وحضارياً وجامعة متنقلة ساهمت في نشر الإسلام واللغة العربية في غرب أفريقيا والمحافظة عليهما، ومركزا للإشعاع الثقافي والحياة العلمية في المنطقة، وأساسا مانعا وحصينا للمجتمع في وجه السياسة الفرنسية الهادفة إلى الهيمنة على هوية المجتمع.

وتنطلق أهمية البحث من كون المحاضر منارة التعليم والثقافة التي اصطبغت بها حياة وثقافة موريتانيا وعلت بها فوق الأوضاع العرقية والاقتصادية، وتحدت البيئة وصعوبتها، وأصبحت لها سمة وطابع خاص تنفرد به دون باقي الأقطار العربية والإسلامية. إذ أسهمت في نشر العلوم الشرعية والآداب العربية، هذا فضلا عن دورها في استمرار الحياة الفكرية والعلمية بالبوادي النائية، وإعداد جيل من العلماء والفقهاء في ظل الظروف الطبيعية القاسية. ويمكن تناول هذا الدور من خلال المحاور التالية:

أولا – تأصيل معنى المحاضر:

يعد أول ذكر للمحاضر أو للتعليم الديني في هذه المنطقة هو ما أورده البكري (ت ٤٨٧هـ، ص: ١٥٨) بأن المرابطين "عندما جاءوا إلى مدينة "أوداغست" عام ٤٤٦هـ وجدوا بها جامعاً ومساجد كثيرة آهلة للقرآن". ولا شك أن هذه المساجد شهدت أوائل جلسات العلم والفقه، في جميعها المعلمون للقرآن". أو كما ذكر المختار بن حامد أن محضرة عبد الله بن ياسين هي أولى المحاضر في شكلها المتعارف عليه كمدرسة أو جامعة أو مؤسسة تعليمية انتشرت في بوادي الصحراء في موريتانيا، "وتأسست عام ٤٣١هـ وتمحضرت الأماكن التي ارتادها عبد الله بن ياسين حسبما فرضت ظروف الجهاد وقتها، وإن عُرفت وقتها بالرباط. ورباط عبد الله ياسين هذا يمثل الشكل أو التنظيم المحضري الأول، وإن لم يطلق عليها "محضره"، لأن هذه التسمية لم تعرف في الصحراء إلا في القرن السادس الهجري" (المختار بن حامد: تاريخ موريتانيا ، ٢٠١١، ص ٤١٥).

المحضرة أو المحظرة وجمعها محاضر أو محاظر هي نواة الفقه والعلم. وهي المكان الذي يتم فيه تعليم وتدريس العلوم في مجملها والشرعية على وجه الخصوص، وقد بدأت بتعليم القرآن والحديث وهي تماثل الكُتاب في مصر أو الخلوة في السودان، وقد اشتق هذا الاسم "المحضرة" حسب بعض الباحثين (الشيخ الطيب بن عمر بن الحسين: السلفية وأعلامها في موريتانيا ، ١٩٩٥، ص: ٨٧) إما من الحضور أو من الاحتظار، وجاء في تاج العروس: يقال للمقيم على الماء حاضر، وجمعه حضور، وهؤلاء حُضار ومحاضر... وقال لبيد:

فالواديان فكُل مغني منهْمُ وعلى المياه محاضرُ وخيام

(ديوان لبيد بن ربيعة)

ويقال إن "الحاضرون الذين يرجعون إلى المحاضر في القيظ. وكل من نزل على ماء ولم يتحول عنه شتاء ولا صيفاً فهو حاضر. (لسان العرب :ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور ، صادر، ٢٠٠٩، ج ٤، ص ١٩٨) وإن لم يزل الخلاف حول اشتقاق هذه التسمية مستمراً جدلاً دون حسم حتى الآن. ولكن الباحث يميل إلى أن أصل التفسير يبدو في المعنى الوارد في بيت الشعر السابق، فهي من حيث من شروط المحضرة بالمعنى الاصطلاحي والعملي تتمثل فيه، حيث المكان الذي يوجد فيه الماء، لأنه أصل الحياة، خصوصاً في هذه البقاع الصحراوية شديدة الجفاف والحرارة، وهو ما عاينه الباحث في زيارات ميدانية لعدد من المحاضر في عدة مناطق في موريتانيا، وإن غلب التفسير في المعنى الوارد في بيت الشعر، فهي من حداثة البناء حسب معطيات العصر، لكنها أيضا مرتبطة بمصدر المياه.

وإنه بداية من القرن السابع عشر الميلادي (الحادي عشر الهجري) كانت المحاضر قد انتشرت لتشمل حدود المنطقة العربية (الحسانية) أو ما عُرف بالمجال الشنقيطي الفسيح من ضفاف المحيط

الأطلسي إلى أزواد، ومن نهر السنغال إلى الحدود الجزائرية والمغربية، وفي أرجاء الصحراء الموريتانية المترامية الأطراف، وعلى ضفاف المحيط والنهر تكاثرت المحاضر وتشعبت وأصبحت بمثابة "جامعات بدوية متنقلة" على ظهور العيس، تَعرف نوعا من الإبداع والإنتاج العلمي والأدبي في محيط بدوي قح.(د. حماه الله ولد السالم: حجاج ومهاجرون: دار الكتب العلمية. بيروت. طبعة أولي: ٢٠١٢، ص: ٢٧)

وبعدما تراجع العطاء العلمي للمدن التاريخية قبلئذ بسبب الحروب الأهلية والأوبئة وكثرة المظالم، بدأ إنتشارها وإزدهارها منذ بداية القرن السابع عشر، وشهدت الازدهار منذ القرن الحادي عشر الهجري في البادية، وهي ظاهرة جديرة بالتأمل.

والمحضرة كما وردت تعريفاتها الوظيفية أنها: جامعة شعبية بدوية متنقلة، تلقينية المعرفة، فردية التعليم، طوعية الممارسة. تستقبل كل من يريد التعلم، طفلاً كان أو شاباً أو أكبر من ذلك. لا ترد طالباً لعدم وجود "مقاعد شاغرة"، ولا تُغلق أبوابها لقلة عدد الطلاب، فلا حد أدنى ولا أعلى لعدد الطلاب الذين يمكن أن تقبلهم.

يقول الدكتور أحمد بن حبيب الله: "إذا كان العلم صنعةً لا يمكن أن تزدهر إلا في المدن والحواضر كالصناعات عامة حسب نظرية ابن خلدون الذي يقول: (إن التعليم إنما يَكثُرُ حيث يكثرُ العمران وتعظمُ الحضارة، وذلك لأنه صناعة). فإن الواقع الموريتاني القديم قلب النظرية الخلدونية رأسًا على عقب" وأثبت عكسها. وبذلك صارت الصحراء الموريتانية فريدة من نوعها وفي نشاطها، حيث أصبحت هي البادية والحضر معا في وقت واحد، فهي مستقر العلم ومستودعه. (د أحمد بن حبيب الله: تاريخ الأدب الموريتاني، منشورات الإتحاد العام للأدباء ، المغرب ١٩٩٦ ص٢١٩)

ولذلك يقول الدكتور محمد المختار ولد أباه: "من الصعب على من لم ير المحاضر أن يتصور إسهامها. ذلك أن البداوة تقترن في الذهن بالجهل، فالثقافة جزء من الحضارة، ومراكز العلم والتدريس تقترن غالبا بالمعاهد والجامعات المشيدة التي اتصلت شهرتها بشهرة المدن التي تحتضنها، غير أن المحاضر فريدة في نوعها، إذ هي بعض أحياء البدو الذين يتبعون المراعي متنقلين، تصادف شيخا كسائر البدأة متقشفاً في ملبسه ومظهره، ولا يمتاز بشيء عن سكان الحي، سوى أن ترى أمام بيته مجموعة من الشبان، يقل عددها ويكثر حسب الأزمنة، تسكن تحت الشجر، وفي أعرشة من الخشب تعيد بناءها كلما ارتحل آل الشيخ (محمد المختار بن أباه: الشعر والشعراء في موريتانيا، دار الأمان ، الرباط ١٩٨٧، ص٢٣).

أما خطوات تحصيل الدرس:

يتبع الطالب في دراسته تسلسلًا معينا: فهو يكتب النص على اللوح الخشبي، ثم يقرأه على "المرابط" للإجازة، ثم يُقبِل على قراءة النص بالتكرار حتى يحفظَه، ثم يقرأه على "المرابط" غيبًا واستظهارًا من ذاكرته، ثم يعود لقراءته مجزأً (جملةً جملةً أو بيتًا بيتًا، حسبَ نوعِ الفن)، والشيخ يتولى الشرحَ في أثناء ذلك. ولا يَبقى بعدَ هذه المراحل إلا التكرارُ لترسيخ المعلومات في الذهن وقد جمع هذه الخطوات العلامة محمذن فال بن متالي التندغي (ت ١٢٨٦هـ)، فقال: كَتْبٌ إجازةٌ وحفظُ الرسمِ (إزيدبيه محمدنَ الإمام: المحظرة الشنقيطية حفريات في تاريخ التعليم الإسلامي في موريتانيا دار الإمام المازري ٢٠٠٨، ص٧٦).

التقييم: يختلف نظام التقييم في المحضرة عنه في المدارس والجامعات الحديثة. ومع ذلك فالتقييم عملية مستمرة في رحاب المحضرة، وتؤدي إلى نتائجها بكفاءة. ويتخذ هذا التقييم نمطينهما:

١- التقييم التكويني: وهو التقييم المستمر السائد في المحضرة، ومن أشكاله:

التقييم الذاتي الزمري: وهو ظاهرة تنفرد بها المحاضر، وتأخذ شكل أحاجي وألغاز ومساجلات وتمرينات يختبر بها الطلاب بعضهم بعضا، ويطلع الشيخ عادةً على سير هذا التقييم للاستفادة منه في رصد مستويات الطلبة.

اختبار القافلة: وهو أن يتعرض الطلاب للقوافل، ويطلبوا من علمائها اختبار مستوياتهم العلمية، فيمتحنهم هؤلاء، فإن نجحوا استحقوا عليهم مكافأة.

٢- التقييم النهائي: وهو لا يتخذ شكل امتحان أو اختبار، وإنما يبني الشيخ تقييمه النهائي للطالب على أدائه في سلسلة الاختبارات التكوينية التي خاضها في أثناء دراسته، ويجسد الشيخ قراره بمنح الإجازة بناء على هذا التقييم. والإجازة نوعان:

إجازة مقيدة: وتختص بفن واحد كالقران، أو النحو، أو الحديث. ويلزم فيها إثبات سلسلة رجال السند الذين أخذ عنهم.

إجازة مطلقة: ولا تمنح إلا لأفراد قليلين من النابهين الذين استكملوا جميع العلوم المدروسة في المحضرة، وأخذوا كل ما عند الشيخ، وعادة ما يؤسس هؤلاء الطلاب المجازون محاضرًا جديدة في أحيائهم. (د محمد أحمد ولد البرناوي الخلاف والاختلاف والإستخلاف، منشورات معهد سيدي عبد الله بن الفاضل للبحث العلمي ٢٠٠٥ ص: ٦٤)

فضائل ونواقص المنهج التربوي للمحضرة.

الفضائل:

يلتقي المنهج التربوي للمحضرة في بعض مبادئه مع قواعد التربية الحديثة، ويمتاز عنها بما يلي:

- الحرية: طلاب المحضرة أحرار في اختيار الفن المدروس، والمنهج، والمدة التي يقضونها؛ بل وفي اختيار المعلم (إن كان في المحضرة أكثر من شيخ).
- المساواة: يحق لكل شخص الالتحاق بالمحضرة، بغض النظر عن عمره أو بيئته الاجتماعية. والطلاب سواسية، فمعيار التميز عندهم هو التفوق المعرفي والتحصيلي فقط.
- المجانية: المحضرة لا تأخذ رسومًا من طلابها، فالطالب الموسر ينفق على نفسه، أما المعسرُ فينفق عليه الشيخ أو زملاؤه أو أهل الحي. (د محمد ولد البرناوي: الشيخ محمد المام بن البخاري، الولي العالم المجدد، منشورات معهد سيدي عبد الله بن الفاضل للبحث العلمي نواكشوط ط أولي ٢٠١٢ ، ص١٣٤)
- الموسوعية: فالمحضرة جامعة موسوعية يتلقى فيها الطالب المعارف والفنون المختلفة.

أما المبادئ التي تضبط التدريسَ، فأهمها: التدرج؛ وهو الالتزام بالتسلسل الطبيعي في دراسة المتون، فيبدأون بالمتون السهلة، وينتقلون إلى المتون الصعبة. ففي الفقه: الأخضري، ثم ابن عاشر، ثم الرسالة، ثم المختصر. وفي النحو: الآجرومية، فنظم عبيد ربه، فالألفية.

أما مواقيت الدراسة فكانت تبدأ ضحى، بعد الفراغ من الصلاة والأذكار وإخراج المواشي إلى مراعيها. وتتوقف ساعة القيلولة للراحة والغداء، ثم تعاود عصراً حتى غروب الشمس. وأحيانًا كان لبعض شيوخ المحاضر أوقاتاً أخرى للتدريس فيها، مثل ساعات السحر، أو الثلث الأخير من الليل، ثم ينشغل بأوراده بعد صلاة الصبح إلى الضحى ثم يجلس للتدريس إلى وقت القيلولة، فينام ثم يعود بعد العصر. (عبد الودود ولد عبد الله ددو: الحركة الفكرية في بلاد شنقيط، مركز الدراسات الصحراوية،الرباط المغرب٢٠١٥ ص ٧٦).

ورغم كثرة الحروب والأغارات بين القبائل والإمارات، حتى بين الأفراد، وسيادة الفتن في هذا القطر، إلا المحاضر استمرت في هذه الصحراء لقوة تأثيرها؛ بل إنها نمت وازدهرت، وخرجت العباقرة في شتي العلوم والمعارف، فكان ذلك من عجائب أمور هذه البادية التي نعتها الدكتور محمد ولد البرناوي بـ"البادية العالمة" ولا شك أن هذه العالِمية قد تأتت من حيوية المحضرة وإخلاص شيوخها وأمانتهم الدينية والعلمية؛ فقد تميز طلبة المحاضر بالقدرة الفائقة على الحفظ، فـ"لا يُخَرج الطالب المحضري إلا بعد حفظ أمهات المتون المعروفة. ويدلنا، الإنتاج المعرفي الثقافي الضخم الذي خلفه علماؤها الأجلاء على مدى الازدهار الذي وصلت إليه المحضرة الشنقيطية، "وقد ظلت شهرة الشناقطة بالحفظ ودقة الرواية أمراً محيراً إلى اليوم" (حماه الله ولد السالم: حجاج ومهاجرون، مرجع سابق، ٢٠١٢، ص: ٣٠).

ودائما ما يكون شيخ المحضرة هو أحد الفقهاء الدارسين لأغلب فروع الفقه، وحاصل على إجازات متعددة من شيوخ سابقين، وقد يكون هو الشيخ الوحيد الذي يُدرس للطلاب في محضرته، أو يكون معه شيوخ آخرين، وهذا النظام – الثاني – نجده في محاضر بيوت العلم الكبيرة إذا أقام رجالها في حي واحد. وغلب هذا النظام على محاضر المدن القديمة، مثل شنقيط أو ولاته "حيث يصطف الشيوخ المحنكون، وهم رجال العلم ممن لا يردون لوحا، فيقبل عليهم الطلبة، يدرس الطالب على أيهم شاء" . (الخليل النحوي :بلاد شنقيط المنارة والرباط ، المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة ، تونس ١٩٨٧، ص: ٥٤).

ولم يهل القرن التاسع عشر (الثالث عشر هجري) حتى كانت المحاضر أو جُلها في البادية والتي وقد تزواح عددها حسب الإستقصاء (مما ورد في المصادر والمراجع والمخطوطات، ومما تناقلته الألسن وسمعه الباحث من الشيوخ والمؤرخين أكثر من خمس وستين محضرة). ويمكن حصر الخصائص التي وصلت لها المحضرة في القرن التاسع عشر وتميزت بها عن غيرها من الكتاتيب في العالم الإسلامي، والمدارس والجامعات في العصر الحاضر بعدة خصائص وسمات، منها:

١- المحضرة بمثابة جامعة، فهي تضم مختلف العلوم بشكل موسوعي، فتدرس القرآن حفظًا ورسمًا وتجويدًا وتفسيرًا، والحديث متنًا وسندًا ومصطلحًا، والعقيدة وعلم الكلام والسيرة والتاريخ والأنساب والأخلاق، واللغة والأدب والنحو وغيرها.

٢- لا ترد طالبا مهما كان عمره أو مستواه العلمي أو منزلته الاجتماعية. فالمحضرة لا ترد طالبًا لعدم وجود مقاعد شاغرة، ولا لقلة المنتسبين إليها، وإنما يكثر رواد المحضرة تبعًا لصيت شيخها ومدى تفرغه. ولا تراعي في الطالب أي سن، ولا تراعي كذلك في الدراسة فترة زمنية معينة، فالجميع حر في أن يلج تلك المؤسسة التعليمية في أي سن وفي أي وقت حسب الجهد والإمكان.

٣- المساواة، فالمحضرة تكاد تكون الفضاء الوحيد الذي تذوب فيه مختلف أشكال التمايز الطبقي والعرقي. إذ يتحدد الانتساب إليها بالرغبة والاستعداد دون اعتبار المكانة الاجتماعية أو فوارق السن. فالرجل الطاعن في السن قد يدرس مع الشباب، كما أن الشاب اليافع قد يتولى تدريس من هم أسن منه. هذا فضلا عن عدم اعتبار المستوى المادي، إذ لا فرق بين غني وفقير.

٤- المجانية، فالانتساب إلى هذه المدارس لا يتطلب رسوما؛ الميسورون يدرسون على نفقة ذويهم؛ المعدمون ينفق عليهم شيخ المحضرة، أو بقية الحي أو يتقاسمون النفقة مع زملائهم الميسورين، وتُجسد هذه "المجانية" درجة كبيرة من التكافل الاجتماعي واهتمام المجتمع بطالب العلم (إزيدبيه محمدنَ الامام، مرجع سابق، ص ٣٩-٤٢).

٥- بدوية متنقلة، إذ ازدهرت المحاضر وتبلورت في رحاب البادية، وكانت مترحلة متقلبة تقلب البدو في منتجعاتهم ومسارح إبلهم وابقارهم.

٦- كانت تقوم على الطريقة التلقينية، وهي الطريقة التي كانت متبعة منذ صدر الإسلام. حيث كان العلماء يعتمدون على الرواية والسند، فصارت الرواية أم الدراية بالنسبة لأهل موريتانيا، وربما يرجع الأمر إلى ندرة الورق والكتاب، فاعتمدوا على المنهج التلقيني.

٧- عمر المحضرة غير محدود: قد تعيش المحضرة زمنا طويلا وقد تموت بموت شيخها، وإنما تعيش عمرا طويلا إذا ورثها أبناء الشيخ وطلبته الذين تخرجوا على يده، وقد يبقى اسم المحضرة قائما، وقد يستبدل باسم جديد فيتوهم البعض أنها محضرة جديدة. والحقيقة أنها استمرارا لمحضرة الشيخ الذي قضى نحبه أو أصابه عارض.

٨- شيخ المحضرة قلما يتقاعد، وإنما يتوقف عن التدريس لعامل خارج عن إرادته. ويبدأ التدريس في زهاء العشرين من عمره متدربًا على شيخه الأول الذي يأذن له بالتدريس في محضرة خاصة به.

٩- تطوعية الممارسة: تقوم المحضرة على أساس من التطوع والمبادرة الحرة في الدراسة والتدريس معا. أما الشيخ فيبذل جهده العلمي بدون مقابل، وقد يتلقى الهدايا والهبات ولكنه يأنف أن يطلب

عوضا عن عمله، فهو يبذل علمه بسخاء، يستفيد منه الطالب الميسر والمعسر على حد سواء (الخليل النحوي، مصدر سابق، ص ٥٣-٦٠).

ثانيا – دور المحاضر التعليمي والتثقيفي وتعريب الصحراء:

كان التعليم يبدأ غالباً في المحضرة منذ الطفولة بعد أن يتعلم التلميذ، عند بلوغه سن الخامسة، الحروف والأرقام ويحفظ السور القصيرة من القرآن الكريم. ثم يحفظ القرآن الكريم وتجويده. ثم بعدها يبدأ الاشتغال بدراسة علوم القرآن الكريم والحديث والفقه، حسب المناطق. "فإن بلغ الصبي الحُلم يبدأ في غير القرآن الكريم. ورغم غلبة الطابع الموسوعي للمحضرة الموريتانية فقد اشتهر بعضها بالتخصص في بعض الفنون؛ فمحضرة "الكَحله" (في آفطوط) متخصصة في العلوم الشرعية فقط. أما ربيبتها "الصفرة" فهي متخصصة في العلوم اللغوية فقط.

وكانت محاضر الشرق (في "لِعصابَه" والحوضيْن) وحتى تمبكتو في أزواد تعتني بالقرآن الكريم وعلومه مع دراسة العلوم الشرعية، وفي محاضر "الگِبلة" (القبلة) جنوب غرب الصحراء الموريتانية كانت دراسة مختصر خليل والألفية على حد سواء في الأهمية. واشتهرت بعض من محاضر "الگِبلة" بالدراسات النحوية واللغوية، مثل محضرة محمد بن حنبل الحسني (ت ١٣٠٣هـ \١٨٨٥م)، ومحضرة يحظيه بن عبد الودود القناني (ت١٢٥٩هـ \١٨٤٣م)، ومحضرة اجدود بن اكتوشن العلوي (ت ١٢٨٩هـ \١٨٧٢م). وكذلك اشتهرت محضرة أهل محمد سالم المجلسي باختصاصها في الفقه واللغة والتفسير والحديث في زمن مؤسسها المذكور.

وسنأخذ نموذجين للاستدلال على المنهج الدراسي للمحضرة يمثلان منطقتي "القبله" وشرق البلاد. أولهما: محضرة يحظيه بن عبد الودود. والآخر: المعارف والفنون التي درسها والد الشيخ سيدي محمد المختار الكنتي (ت ١٢٢٦هـ).

في النموذج الأول، يتحدث الأستاذ الباحث محمذن ولد المحبوب في مقال له عن محضرة يحظيه بن عبد الودود، مشبها إياها بجامعة لها كليتان تحويان خمس شعب دراسية، ويمكن تصنيفها حسب ما يلي:

١- كلية الشريعة الإسلامية:

- شعبة العقيدة والتوحيد: وتُدرس فيها إضاءةُ الدجنة، والوسيلةُ لابن بونه، والعقائد السنوسية.
- شعبة الفقه وفروعه: وتُدرس فيها الرسالةُ للقيرواني، ومختصر خليل مع شروحه.

٢- كلية الآداب والعلوم الإنسانية: شعبة النحو واللسانيات والصرف: وتُدرس ألفية ابن مالك مع توشيح ابن بونا عليها، ولاميةُ الأفعال لابن مالك مع توشيح الحسن بن زين القناني (ت ١٣١٥هـ).

- شعبة اللغة والأدب: وتُدرس فيها دواوينُ الشعراء الستة الجاهليين للأعلم الشنتمري، وديوانُ غيلان، والكاملُ للمبرد، وأشعارُ العباسيين.
- شعبة التاريخ والسير والجغرافية: ويُدرس فيها نظمُ الغزوات للبدوي، وعمودُ النسب له أيضا، وقرةُ الأبصار للمطي.

أما النموذج الثاني الذي يمثل المنطقة الشرقية، فيذكر الشيخ سيدي المختار الكنتي (ت ١٢٢٦هـ) في كتابه "الطرائف والتلائد" الفنون التي درسها والده معددًا إياها: (مختصر خليل، نظم الغزوات، الرسالة، حدود ابن عرفة في الفقه، ألفية ابن مالك، الفريدة للسيوطي في النحو، ألفية السيوطي (عقود الجمان) في البلاغة، المنجور على قواعد الزقاق في القواعد، وورقات الجويني، وجمع الجوامع في الأصول، والصحاح الستة في الحديث، وتفسير ابن عطية. وقد اشتهرت بعض المحاضر بالتخصص في الدرس النحوي وإن شاركت في معرفة العلوم الأخرى مثل محضرة المختار بن بونا، ومحضرة ولد عبد الودود رحمهما الله.

ولم يكن الدرس الصرفي بأقل أهمية في المحضرة من الدرس النحوي، وكانت ألفية بن مالك و"لامية الأفعال" لنفس المؤلف ركيزتين في هذا النطاق. وقد صنعوا مع اللامية صنيعهم مع الألفية، فنظم العلامة الحسن ولد زين رحمه الله "احمرارا" على اللامية، ووضع عليها "طرة" يتعاطاهما الطلاب مع نص ابن مالك، ويعبرون عن أهمية الدرس الصرفي وسهولة مادته بقولهم إنه "علم شهر وندامة دهر"، فالطالب بإمكانه أن يتعرف على أولويات هذا الفن من خلال "لامية الأفعال" مثلا في غضون شهر، ومن لم يفعل ذلك لزمته ندامة الدهر لفقده أساسيات صرفية لا تستقيم اللغة دون معرفتها.

يدرس في المحاضر الموريتانية القرآن الكريم وعلوم الفقه وأصوله وعلوم الحديث والبلاغة والفلسفة والتاريخ والحساب والطب وغيرها من العلوم ومن الكتب المعتمدة في المنهاج المحظري الموريتاني.

وتختلف الناس إذ ذاك بحسب البلدان والقبائل". فأهل "أدرار" و"تكانت" ومن حذا حذوهما يبدأون بالأخضري (حماه الله ولد السالم: حجاج ومهاجرون، ٢٠١٢، ص ٦٤) وابن عاشر، والرسالة ثم متختصر خليل. وأما أهل القبلة فإنهم يختلفون في ذلك، ففيهم البعض يقرأ بعض دواوين العرب قبل البلوغ ثم العقائد الأشعرية، ويمضي سنين عدة في إتقان تأليف السنوسي ثم يقرؤونه النحو والفقه. ويعتمد التعليم على اللوح الخشبي وقلم السيال والحبر المصنوع من مشتقات الحجارة المعدنية المحلية (الخليل النحوي: شنقيط المنارة والرباط ، مصدر سابق، ص: ٤٨).

وكان الشيخ المدرس يتكفل بنفقة الفقراء من تلامذته أو من لا مأوى لهم، خصوصاً أن أغلب التلامذة كانوا يرتحلون بعيداً عن ديارهم وأهليهم شطر من أرادوا التعلم على يده. أما القادرون من طلبة العلم فكان زاد كل واحد منهم الذي يرحل به إلى شيخه لا يتعدى بقرة حلوبًا أو اثنتين أو ناقة أو ناقتين. وفي حالات نادرة كان مع بعضهم أكثر من ذلك، تحسباً لتحمل معيشة رفاق له وإخوان من التلاميذ. وتذكر لنا الروايات رحلات عدة لطلبة بحثاً عن العلم في المحاضر البعيدة عن ديارهم وبواديهم ولعل أشهرهم من أولي العلم والصلاح: الشيخ سيدي المختار الكنتي والشيخ سيديا الكبير ، والذي طالت رحلته لمسافات طويلة من قريته "أبي تلميت" ٢٠٠ كم شرق نواكشوط العاصمة الحالية، إلى "أزواد" قاطعاً مسافة تتعدى ٢٠٠٠ كيلومتر.

والروايات المتاحة لم تشر عن المحاضر التزامها بمنهج محدد للدراسة يتبع ترتيبًا زمنياً ثانيًا، بل كانت تقدم وتؤخر في تدريس منهج ما، من محضرة إلى أخرى ومن محاضر منطقة أو إقليم إلى محاضر منطقة أو إقليم آخر. ولم تكن للمحاضر امتحانات دورية تتيح للناجحين فيها الانتقال من صف إلى صف، كما هي الحال في المدارس أو في الجامعات المدنية ومؤسسات التعليم النظامية الحالية، وإن لم تهمل المحاضر دور الزمن والسن فيها، ولكنها كانت تهتم بالدروس أكثر مما تهتم بالوعاء الزمني لها. فكان للطالب أن يعيد دراسة وحفظ متن ما، كإجراء طوعي، ينم عن اجتهاد ورغبة في الإتقان مع عدم إهمال التقييم للطلاب من قبل شيوخهم. وكان للطالب نفسه تحديد نوعية التلقي المعرفي له حسب ميله، وأيضا تحديد مقدار أو زمن الحصص الدراسية (حلقات الدروس التي يتلقاها) حسب قدرته على الحفظ والاستيعاب، و"روي أن طالباً معروفاً بالذكاء والتحصيل كان لا يزيد في تحصيل متن خليل على سطرين في كل حصة، فقيل له: لم لا تزد وأنت قادر على التحصيل؟ فقال: لأنني أتعجل العودة إلى أهلي، فقيل له: ذلك يقتضي أن تزيد في درسك، فقال: لا، أنني أريد أن أتقن ما أقرأ حتى لا أحتاج لإعادة دراسته، فأتأخر" (الخليل النحوي: مصدر سابق، ص: ١٧٢).

وكان الطالب كثيراً ما يعيد دراسته المتن، خاصة من المتون الكبرى، مرات ليزداد استيعاباً، أما تدرج الدراسة فكان الطالب يلتزم، عرفيًا، الالتزام الطبيعي للتسلسل في الدراسة فيبدأ بالمتون الصغرى المبسطة، ثم المتون الوسطى، قبل أن يدرس المتون الكبرى في كل تخصصات الدراسة. وقد اختلف نظام

التقييم في المحضرة عنه في المدارس والجامعات الحديثة، فكان التقييم عملية مستمرة في رحاب المحضرة التي تؤدي دورها بكفاءة، فاتخذ التقييم طريقتين هما:

١- التقييم التكويني: تقييم مستمر في المحضرة ومن أشكاله التقييم الذاتي الرمزي الذي انفردت بها المحاضر، حيث كان يأخذ شكل أحاجي وألغاز، ومن خلاله يطلع الشيخ عادة على سير هذا التقييم للاستفادة منه في رصد مستويات الطالب. وكان هناك تقييم آخر تكويني يقوم على اختبار القافلة. حيث كان يتم من خلال تعرض الطلاب للقوافل فيطلبوا من علمائها اختبار مستوياتهم العلمية. فيمتحنهم هؤلاء، وإن اجتازوا الاختبار استحقوا عليهم مكافأة.

٢- التقييم النهائي: وهو لا يتخذ شكل امتحان أو اختبار، وإنما يبني الشيخ تقييمه النهائي للطالب على أدائه في سلسلة التقييمات التكوينية التي خاضها أثناء دراسته، ويصدر الشيخ قراره بمنح الإجازة بناءعلى هذا التقييم (سيدي محمد سيدي: ٢٠١٩، مركز تكوين العلماء بموريتانيا وإسهاماته التَّربوية في المجتمع الموريتاني، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة إفريقيا العالمية، السودان، ص: ٤١-٤٢).

والإجازة التي كان يقرر الشيخ منحها بناءًا على التقييم كانت نوعان: إجازة مقيدة تختص بعلم واحد كالفقه أو النحو أو الحديث، ويلزم فيها إثبات سلسلة رجال السند الذين أخذ عنهم الطالب. وهناك إجازة مطلقة: ولا تمنح إلا لأفراد قليلين من النابغين الذين استكملوا جميع العلوم المدروسة في المحضرة، وأخذوا كل ما عند الشيخ، وكان أولئك هم عادة ما يؤسسون محاضر جديدة في أحياءهم (حسنة الغامدي وطارق العجال، ٢٠١٣، ص: ٣٠-٣١).

وبمرور الزمن استقرت المحاضر على أقسام أو أنواع ثلاثة، وهي:

١- المحاضر القرآنية: وهي محاضر خاصة بتدريس القرآن الكريم، ويلج إليها الطفل مبكرا، وتنتهي هذه المرحلة بإجازة سن متصل.

٢- المحاضر العلمية: وهي المقصودة عند إطلاق لفظ المحضرة في المجال الشنقيطي. وفيها تدرس مختلف العلوم اللغوية والشرعية، وتكون عادة تحت إشراف شيخ كرس حياته للتدريس، وينتسب لها عند البلوغ إلى الأربعين، وخلال الخمسة والعشرين عامًا يظل الطالب يجمع العلوم ليتخرج عالمًا أو شيخًا.

٣- المحاضر الأسرية: حيث لا يخلو حي من أحياء الزوايا من محضرة أهلية، كما كان هناك محاضر للفتيات يتعلمن فيها قبل سن البلوغ (علي بدوي سالمان، الطريقة القادرية والاستعمار الفرنسي في موريتانيا ، ٢٠٠٣، ص: ١٣٢).

ووفرت المحضرة لطلبة العلم بها جميع ما يحتاجونه، أو ما أريد لهم أن يتعلموه من المعارف سواء من العلوم الشرعية الإسلامية أو من علوم اللغة العربية والتاريخ والحساب والفلك، وهو ما تجلى في الكم الهائل من المخطوطات التي تعج بها إلى الآن مضارب خيام البدو في الصحراء الموريتانية، أو المعاهد العلمية، والمكتبات العامة والخاصة، وبيوت حفدة العلم مثل شيخ سيديا والشيخ المامي وغيرهما. وكان طلبة العلم يميلون إلى تعدد المعارف والعلوم التي يتلقونها عن مشياخهم، وتجلى ذلك في نص ألفه "محنض بابه" على نسق مقامات الحريري (الخليل النحوي، مصدر سابق، ص: ٢٥٤).

ولعل من أهم سمات المحضرة في ترسيخ الثقافة العربية والإسلامية حتى بلغت قمتها في القرن التاسع عشر؛ لتصبح قاعدة راسخة وأساس متين يشكل هوية المجتمع في وجه المستعمر الفرنسي وسياسات الفرنسة الثقافية؛ فقد تميزت "المحضرة" في موريتانيا بميزات عديدة أهمها:

١- الجامعية: امتازت "المحضرة" بأنها مؤسسة جامعة تقدم للطالب معارف موسوعية في مختلف فنون المعرفة الموروثة، يتدرج الطالب في دراستها من مستوى ابتدائي إلى أعلى مستويات التخصص.

٢- الحرية: فالطالب المحضري يتمتع بحرية اختيار "المحضرة" التي سينتسب إليها، والشيخ الذي سيدرس عنده، والمادة والمتن اللذين يرغب في دراستهما، والفترة الزمنية الملائمة لدراسته. وتسمح

هذه المساحة الواسعة من الحرية بمستوى من تحقيق الذات، يجعل جُل الطلاب يتعاطفون تعاطفا وجدانيا مع محيطهم المحضري.

٣- استيعابية: كانت المحضرة بمثابة الفضاء الذي تذوب فيه مختلف أشكال التمايز الطبقي والعرقي، إذ يتحدد الانتساب إليها بالرغبة والاستعداد دون اعتبار المكانة الاجتماعية أو فوارق السن. فالرجل الظاعن في السن قد يدرس مع الشباب، كما أن الشاب اليافع قد يتولى تدريس من هم أسن منه. هذا فضلا عن عدم اعتبار المستوى المادي بين غني وفقير.

٤- شعبية: لم تتبع نظامًا حكوميًا وفق النظم المعاصرة؛ فكانت تستقبل كل من يرد عليها من جميع المستويات، فلا يرد أحد لنقص مقاعد الدراسة، كما لا تغلق لعدم جود عدد كافي من الطلبة، علاوة على أنه يوجد فيها سجلات للطلبة الذين يصل عددهم أحيانا إلى ٤٠٠ طالب.

ثالثا– روافد العلوم المحضرية:

كان لحواضر مدن العلم الرئيسية في العالم الإسلامي خصوصاً القاهرة وفاس وتلمسان والحجاز، تأثيرات عميقة، أسهمت في النهضة الثقافية التي شهدتها هذه الصحراء، من خلال المحاضر التي صارت مشاعل معرفية. وقد أسهم الرافد المصري "الأزهر" إسهاماً كبيراً في رفد المحاضر بإضاءات هامة مكنت لتجذير المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية في صحراء غرب إفريقيا.

وإن رأي "الدكتور محمد المختار أباه أن حركة الثقافة في بلاد شنقيط انطبعت أساسًا بطابع مغربي، ويستعرض كدليل على ذلك المصنفات المتداولة. ففي علوم اللغة "النحو نجد نظم ابن آجروم وألفية ابن مالك، وكتب ابن حيان، وشرح الأعلم الشنتمري للشعراء الستة الجاهليين. وفي علوم القرآن نجد كتب الشاطبي والداني مرجعاً في فن القراءات والتجويد. ونجد في التفسير أحكام ابن العربي وتفسيري القرطبي وابن عطية". وهذا الذي يراه ابن أباه قول فيه من الحقيقة، ولكن لا ينكر الرافد المصري وإسهامه، حيث زاد الاتصال وتفاقم الإقبال على الأسانيد المصرية منذ القرنين الخامس والسادس عشر ميلاديين، حتى أصبح في القرن الثالث عشر هجري التاسع عشر ميلادي هو السائد والأكثر جذباً وتأثيراً، فقد كانت "سمعة العلماء المصريين تغطي أرجاء العالم الإسلامي خصوصاً بعد زيادة حركة القوافل التي تحمل الحجاج الشناقطة، وأصبح لبعض علماء الأزهر اهتمام خاص بالغرب الإفريقي" (عبد الودود ولد عبد الله :الحركة الفكرية في بلاد شنقيط، ، ٢٠١٥، ص: ٧٤).

فقد عمل الحج وما فرض على قوافله المرور بمصر ووجود الأزهر وعلماؤه بها على رفد الثقافة المحضرية بأهم روافدها في غرب إفريقيا بشكل عام، وصحراء صنهاجة بشكل خاص وأسهم في توحيد النسق الثقافي على أساس المذهب ليس في موريتانيا وحدها؛ بل في كل شمال وغرب إفريقيا، فانتقلت مؤثرات فكرية مشرقية، وإن اختلفت درجة تأثيرها. وترسخت معارف وأسانيد ومتون المصريين كمرجعية فقهية ودينية للشناقطة الذين استمروا "يعتبرون عطاء الجامع الأزهر ومشايخه مرجعهم الدائم في كل النوازل الفقهية العويصة، وكذلك البت في شئون الصراعات الفكرية الشنقيطية. وأما أهم ما سجله المؤرخون الموريتانيون عن التلقي المعرفي للعلم الأزهري، فهو ما كتبه الدكتور محمد ولد البرناوي: "فقد شكل كتاب ونظم مختصر خليل "مراجعة للنظام التربوي "المحضري" من جهة، وتطور نوعياً على مستوى مناهج التدريس من جهة ثانية، وإثراء للمادة المُدَرسةُ (فيها) من جهة ثالثة، وسيكون، تأسيساً على ما سبق مهيأ لأن يكون نظرياً على الأقل هو المعتمد في البلدة خاصة في ظل غياب المنافسة آنذاك" (حماه الله ولد السالم، ٢٠٠٤، ص: ١٨٥-١٨٦).

وعطفاً على دور المحضرة في نشر اللغة العربية فإن إحدى أهم أدوات هذا النشر مجموعة من النساء البارعات. إذ يورد الخليل النحوي عدداً من الأسماء لسيدات موريتانيات كن شيخات لعدد من المحاضر وعالمات مثل خُناثة بنت الأمير المغفري الشنقيطي بكار، والتي تزوجها سلطان المغرب

مولاي إسماعيل العلوي، وقد اشتهرت بالرياسة والعلم، وكانت تحاور العلماء. وصفية بنت المختار، وكانت عالمة تجويد وتفسير وسيرة. وخديجة بنت المختار بن عثمان، وهي أم الشيخ التيجاني بن بابا العلوي. وهند زوج الشيخ ماء العينين. وميمونة بنت الشيخ محمد الحضرمي. وأختها ربيعة. وخديجة بنت الإمام محمد العتيق. وخديجة بنت البيضاوي.. وغيرهن كثيرات (محمدو أمين، مدخل إلى تاريخ البداوة ،٢٠١٨، ص: ١٢٦).

وقد ساهمت المحضرة من خلال شيوخها المتصوفة وطلبتها في إشعال نيران الغضب لمواجهة مقدمات الاحتلال الفرنسي؛ بل وساهمت في مواجهته، وقد استشعر شيوخ المحاضر ورجال الزوايا الخطر على بلادهم من قبل الفرنسيين منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر وبخطرهم المتزايد في حوض نهر السنغال، فاضطلع شيوخ المحاضر وخريجوها من فقهاء وعلماء بدور كبير في التحذير من هذا الخطر المحدق. وأدخل الشيخ مسكه بن باركل الطريقة الشاذلية وجعلها منهجاً في محضرته المعروفة المورودة.

كما كانت محضرة سيدي عبد الله بن الفاضل أحد أهم مراكز الإشعاع العلمي في البلاد. كما كانت المدرسة البارکية (مسكة بن بارك الله فيه، وعبد الله بن الفاضل) تمتد جذورها في ثلاث أرضيات معرفية عريقة هي الفضاء الثقافي المحلي والمحضرة اليعقوبية. والمحضرة الشمشوية. وكان مسكه قد أجيز من شيخه أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي في كل العلوم الشرعية، ويذكر أن الطريقة الشاذلية دخلت صحراء صنهاجة من خلال الزاوية الناصرية بوادي درعة، وكان أول من أخذها من مصدرها هو مسكه بن بارك الله فيه. وحتى أحدث الطرق الصوفية انتقالاً إلى الغرب الإفريقي وهي التيجانية، وأصبحت تعد الأوسع انتشاراً في الغرب الإفريقي. وتنسب إلى سيد بن محمد سالم التيجاني فنزل فاس (ت١١٥٠هـ/ ١٧٣٧م) أخذها عنه عدد من أهل ودّان وأهل شنقيط وتيشيت، ودُرست في المحاضر ومنها انتشرت انتشاراً سريعاً. وبذلك تكون المحاضر إحدى أهم عوامل نشر الصوفية في صحراء صنهاجة، ومنها إلى الغرب الإفريقي بشكل عام (محمد ولد أحمد البرناوي، مرجع سابق، ص: ٣٦).

خاتمة:

مثلت المحاضر جسرًا ثقافيًا وقلعة حصينة استثمرت موقع موريتانيا الاستراتيجي كهمزة وصل بين شمال إفريقيا وغربها. وقد كانت نموذجًا فريدًا لصهر التباين والتنوع في المجتمع الموريتاني صهرًا معرفيًا ثقافيًا راقيًا يعلو فوق الاختلافات وبذور العنصرية الثقافية. إذ كان التعليم المحضري يعتبر تعليمًا جماعيًا؛ حيث كان يضم جميع فئات المجتمع. كما تراعى في المحاضر ظروف وطبيعة المجتمع الموريتاني. وقد ساهمت طبيعة المجتمع الموريتاني وحب أهله للعلم على ظهور المحضرة، حيث نشأ التعليم المحضري في الحواضر لكنه ازدهر في البوادي أكثر؛ فلم يمتنع الموريتانيين عن التعلم رغم الظروف الطبيعية القاسية والترحال الذي تميز به الموريتانيون. وكذلك استمرار آثار المحضرة البارزة في اللسان الموريتاني الذي حافظ على فصاحته ولا يزال يفتخر مؤسسو المحضرة بأنها تحافظ على أسلوبها في التدريس رغم الوسائل التقنية الحديثة المتاحة.

وقد حملت المحاضر الموريتانية المشعل نحو الازدهار العلمي والثقافي من خلال إحداث نهضة علمية قبل مجيء المستعمر الفرنسي؛ فكان أفراد التعليم المحضري يتميزون بخصائص اجتماعية وتربوية تشجع الموريتانيين في الإقبال عليه. في مقابل قبول دعوة المحضرة إلى مقاطعة المدارس الفرنسية فيما بعد. فاستطاعت المحضرة أن تشكل بنية فكرية في أذهان المجتمع الموريتاني، كما كانت مقصدًا للكثير من الطلبة في العالم الإسلامي العربي والأوربي. لاسيما وأن علماء المحضرة وشيوخها قد ساهموا في تسليط الضوء على الثقافة الإسلامية ونشرها؛ فرفعت المحضرة اسم البلاد بأعلامها الذين كان لهم حضور متميز على مستوى العالم الإسلامي، ومثلت أداة لمقاومة الأمية وتنمية المعارف وحفظها ونقلها ونشرها عبر ربوع البلاد. علاوة على أن المحضرة جعلت من الموريتانيين قوة متماسكة في الدفاع عن العقيدة الإسلامية.

قائمة المصادر والمراجع:

ابن منظور محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري، (٢٠٠٩)، *لسان العرب*، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت، لبنان، ج٤.

الإمام، إزيدبيه محمدنَ، (٢٠٢١)، *المحظرة الشنقيطية.. حفريات في تاريخ التعليم الإسلامي في موريتانيا*، الطبعة الأولى، دار المازري، تونس.

أمين، محمدو، (٢٠١٨)، *مدخل إلى تاريخ البداوة*، الطبعة الأولى، إصدار وزارة الثقافة، نواكشوط، موريتانيا.

البرناوي، محمد ولد أحمد، (٢٠١٠)، *الخلاف والاختلاف والاستخلاف، دراسة في العُرف والشرع والسلطة السياسية في الجنوب الغربي للغرب الإسلامي*، الطبعة الأولى، منشورات معهدي سيدي عبد الله بن الفاضل للبحث العلمي، نواكشوط، موريتانيا.

البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز، (٢٠١٣)، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، الطبعة الثانية، تحرير وتقديم وتعليق د حماه الله ولد السالم، دار الكتب العلمية – بيروت.

بن أباه، محمد المختار، (١٩٨٧)، *الشعر والشعراء في موريتانيا*، الطبعة الأولى، الشركة الوطنية للتوزيع، نواكشوط، موريتانيا.

بن الحسين، الشيخ الطيب بن عمر، (١٩٩٥)، *السلفية وأعلامها في موريتانيا*، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

بن حامد، المختار، (٢٠١١)، *حياة موريتانيا.. حوادث السنين*، الطبعة الأولى، تحقيق سيدي أحمد بن أحمد سالم، دار الكتب الوطنية، أبوظبي، الإمارات العربية.

سالمان، علي بدوي، (٢٠٠٣)، الطريقة القادرية والاستعمار الفرنسي في موريتانيا، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات الافريقية العليا، جامعة القاهرة، مصر.

سوخنا، سيدي محمد سيدي، (٢٠١٩)، مركز تكوين العلماء بموريتانيا وإسهاماته التَّربوية في المجتمع الموريتاني، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة إفريقيا العالمية، السودان.

الغامدي، حسنة، والعجال، طارق، (٢٠١٦)، التعليم الديني والبدوي في صحراء شنقيط، دراسة في التاريخ والمناهج، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد ٢٠١٦ العدد ٥ (٣١ مايو/أيار)، ص: ١٠-٥٠، ٤١.

النحوي، الخليل، (١٩٨٧)، *بلاد شنقيط المنارة والرباط، الطبعة الأولى*، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس.

ولد السالم، حماه الله، (٢٠٠٤)، *حوار المركز والأطراف في الثقافة العربية*، الطبعة الأولى، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، الإمارات العربية.

ولد السالم، حماه الله، (٢٠١٠)، *تاريخ بلاد شنكيطي (موريتانيا)*، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ولد السالم، حماه الله، (٢٠١١)، *حجاج ومهاجرون.. علماء بلاد شنكيط في البلاد العربية وتركيا*، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ولد عبد الله، عبد الودود ددو، (٢٠١٥)، *الحركة الفكرية في بلاد شنقيط*، الطبعة الأولى، مركز الدراسات الصحراوية، الرباط، المغرب.